مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥ ، العدد ٤ ، شتاء ١٤٤١هـ
صفحة ٥٩١ – ٦١٢ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

عوارض التركيب في بناء الجملة العربية

(دراسة بلاغية وظيفية في القرآن الكريم في ضوء نظرية التواصل لرومان جاكبسون)

فرحان گل مغان زاده[١*]، غلامرضا كريمي فرد[٢]، قاسم بستاني[٢]، محمود آبدانان مهديزاده[٣]

١. طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الشهيد تشمران أهواز ، أهواز ، إيران
٢. أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الشهيد تشمران أهواز ، أهواز ، إيران
٣. أستاذ ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الشهيد تشمران أهواز ، أهواز ، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١٠/٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٦/١٨)

الملخّص

إنّ الأصل في الجملة العربية ذكرُ عناصرها الإسنادية وكذلك إظهار هذه العناصر ومراعاة رتبتها حتّى تحصل الإفادة من هذه العناصر. وهذه الإفادة هي التي تعبّر عنها المدارس اللسانية بالوظيفة. وقد يعدَل عن الذكر بالحذف ، وعن الرتبة بين عناصر الجملة بالتقديم والتأخير ، وهذا العدول عن الأصل هو الذي يسمَّى بعوارض التركيب. ونظرية التواصل اللغوي هي من أهم النظريات اللسانية الحديثة ، ورومان جاكوبسون يعدّ المنظّر الحقيقي لها؛ حيث بينت هذه النظرية أنّ اللغة تقوم على ستة عناصر: المرسِل ووظيفته تعبيرية ، والمرسل إليه ووظيفته إفهامية ، والمرسَلة ووظيفتها شعرية ، والقناة ووظيفتها انتباهية ، والسياق ووظيفته مرجعية ، والرموز المشتركة ووظيفتها ماوراء اللغة. تناولنا في هذا البحث عارض التقديم والتأخير وعارض الحذف من خلال منهج وصفي تحليلي وحاولنا أن نطوّع أدوات نظرية التواصل ونصهرها ضمن النصّ القرآني المعجز وفق الشبكة التواصلية التي قدّرها جاكبسون من أجل تسليط الأضواء على محور التواصل الذي يتبنّاه كلٌ من علم المعاني ونظرية التواصل اللغوي وابراز الجوانب المشتركة لكلّ من هاتين الرؤيتين. وتوصلنا إلى أنّ كلّاً من عارضَي الحذف والتقديم يساهم بشكل أو بآخر في عملية التواصل اللغوي ويساعد على إيصال المعلومة أو الرسالة إلى المتلقّي بأحسن وجه ، كما يتجلّى هذا الأمر بوضوح عند العرب خاصة في قضية مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب ، وهذا وجه من الوجوه المشتركة بين نظرية جاكبسون للتواصل والبلاغة العربية.

الكلمات الرئيسة

القرآن الكريم ، عوارض تركيب الجملة العربية ، نظرية التواصل ، جاكبسون.

---

* الكاتب المسؤول
Email: farhan_gol.maghan@yahoo.com

مقدمة

احتفى الدرسُ النحوي عند العرب بدراسة الجملة فكانت من أمّهات القضايا النحوية التي حظيت بنصيب وافر من اهتمام النحاة العرب، فقد عنوا بدراسة أنواعها وأنماطها وصورها، حيث عرّفوها ووضعوا لها حدوداً وأحكاماً وتفريعات غاية في الدقّة. وكانت الجملة مصطلحاً ذا جدل واسع عندهم. أما في العصر الحديث فقد أخذت الجملة جانباً من جهود المحدثين محاولين الإفادة من دراستها مما توصّل إليه علم اللغة الحديث، فاختلفت مذاهبهم في تحديد مصطلح الجملة أيضاً لاختلاف زوايا نظرهم إليها من حيث تكوينها وبنيتها شكلها ووظيفتها، فعرّفوا الجملة بأنها أقلّ من الكلام يفيد السامع معنى مستقلّاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر (أنيس، ١٩٧٨: ٢٦٠-٢٦١). فالمهم في الجملة في نظر المحدثين هو إفادة التركيب معنى مستقلّاً ليعَدّ هذا التركيب جملة لغوية. فأصبح للغة العربية بنيتها المعروفة وأصولها المألوفة بفضل الجهود التي بذلها كوكبة من اللغويين والعلماء. لقد امتثل الكتّابُ والمؤلفون لهذه البُنَى والأصول. ولكنّ اللغة العربية التي عُرفت منذُ عصورها الأوائل بالمرونة ووصفها بعضُ اللغويين القدامى باللغة الشجاعة أبَت أن تنحصر في هذا النطاق الضيق من القواعد والأصول وأن يعتريها الجمود لهذا فقد اعتاد العربُ على تثبيت حالاتٍ من الكلام خرجت عن النظام المألوف للجملة العربيةو هذا الخروج أو العدول عن النظام المتّبَع للجملة العربية هو ما يسمّى اصطلاحاً بعوارض التركيب. وذهب بعض المحدثين إلى أنّ التحولات الموجودة في اللغة العربية والخروج عن نظام الجملة بين الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير تمثّل في الحقيقة تحوّلاً شكلياً مصاحباً لتحوّلٍ عميق في تركيب الجملة ومن ثمّ دلالتها، إذن فهذا العدول عن الأصل لا يعَدُّ تقويضاً لقواعد اللغة العربية بل فيه أسرار معنوية لا تتأتّى مع الأصل وفيه أخرى لفظية يؤثرها صاحبُ الكلام. وقد سعت النظريات الوظيفية منذ تأسيسها إلى ربط اللسان بوظيفته الأساسية المتمثلة في التواصل الإنساني، فكان من البديهي أن تتجاوز حدود الجملة ؛ إذ اللغة هي «مؤسسة جماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد، وتتناقل بطريقة جبرية من جيل إلى آخر» (بياجيه، ١٩٨٠: ٦٣)، حيث لا يتسنى للمتكلم أن يدخل تغييراً على النظام لأنه ركيزة من ركائز الاتصال. وباعتبار اللغة بنَى متراصّة ومقننة فإنها تمثل صورة عن افرادها وتعبيراً عن أفكارهم، لهذا تختلف وتتعدد تنظيماتها وأشكالها.

والوظيفة الأساسية التي من أجلها وجد الشكل الخارجي هي التبليغ وايصال الأفكار من خلال كلّ مركب تتفاعل فيه العناصر فيما بينها. إنّ التواصل اللغوي هو الصورة النموذجية لتحديد نظلم اللغة وبنيتها بحيث تتحد عناصرها ووحداتها؛ لأنّ الإنسان «يتعامل عند الكلام مع بنية اللغة تعاملاً كاملاً، مما يؤكد أنّ عملية تلقّي الخطاب اللغوي ترتكز على مبدأ الإدراك الشمولي الذي تحصل بموجبه في ذهن الإنسان صورةٌ عن الكلّ خارج نطاق صورة الأجزاء متميزة بعضها عن بعض» (المسدي، ١٩٩٥: ١٣)، وهذا يعني أننا ندرك محتوى الرسالة وهي مترابطة الأجزاء، أي ندرك الكل قبل الجزء.

من خلال أهمية اللغة في إحداث التواصل بين المتخاطبين، ظهرت في ظل اللسانيات الحديثة عدّةُ تحديدات ودراسات للوظيفة التي تقوم بها اللغةُ من خلال عناصرها داخل التركيب، وكذا الوظيفة التي تؤديها الأصوات، وإبراز وظيفة الدليل اللغوي، والوظيفة الناتجة من خلال العناصر الأساسية للخطاب في الاتصال المباشر بين المتكلم والسامع.وكانت انطلاقة هذه الدراسات من آراء وأفكار (دي سوسور) الذي حدّد اللغة بأنها نتاج اجتماعي وأنها نظام من العلامات (مؤمن، ٢٠٠٥: ١٣٦). تتمثل هذه الدراسات في أفكار أقطاب اللسانيات البنيوية الأوروبية من جهة والأمريكية من جهة أخرى. ومن الدراسات الوظيفية للغة عند أقطاب اللسانيات البنيوية الأوروبية نجد المنهج الذي اتخذته مدرسة (براغ) في دراسة نظام اللغة الكلي بمستوياتها المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية دراسة وظيفية محضة، وقد شملت نشاطاتها بدراسة الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية، والأسلوبية اللسانية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودروها في الأدب والفنون والمجتمع (حساني، ٢٠١٣: ٥٤). وإذا كان دي سوسور قد ذهب إلى القول بأن اللغ نظام من العلامات، فإنّ مدرسة (براغ) ترى أنّ اللغة نظام من الوظائف، وكلّ وظيفة نظام من العلامات (حساني، ٢٠١٣: ٥٩). فالمدرسة الوظيفية تعتبر أنّ اللغة نظام من وسائل التعبير، تخدم غرض التواصل المتبادل، فركزوا على الجانب الوظيفي للغة (حساني، ٢٠١٣: ٥٧)؛ لأنّ نظرتهم الوظيفية للغة قد انبثقت من فكرة أنّ اللغة أدات أكثر منها موضوعاً، فاهتمت بالجانب العملي لها الذي يحصل في الكلام، كما اهتموا بمنظور الاتصال الوظيفي حيث يقوم على العناصر: (المتكلم + المخاطب + نص الخطاب). وكلّ تنوع في هذه العناصر يقدّم وظيفة معينة (حساني، ٢٠١٣: ٥٩). من بين العلماء اللسانيين الوظيفيين الذين أولوا اهتماماً كبيراً بعملية التواصل اللغوي "رومان جاكبسون" أحد أقطاب المدرسة الوظيفية حيث

يرى أن أي حدث لغوي تواصلي يتضمن هذه العناصر: المرسِل، والمرسَل إليه (المتلقّي)، ومضمون الرسالة، وقناة الإتصال، والشفرة (الرموز) المستعملة فيها، والمجال أو السياق وهو الذي تدور في فلكه الرسالة، وكل عامل من هذه العوامل الستة المتصلة بكيفية التواصل اللغوي يوجد وظيفة لغوية مختلفة.

أهمية البحث وأهدافه:بما أنّ ظاهرة عوارض التركيب في الجملة تُعدّ خروجاً عن قواعد اللغة العربية المألوفة فإنّه ليس من الغريب أن يخيل إلى القاريء أنّ هذا العدول عن النظام المتّبَع في الجملة العربية هو خطأ مبين وزَلل مشين لا يزيد الجملة إلا إبهاماً ولا يضفي على التركيب إلا انتقاصاً، وتتجلّى أهمية بحثنا هذا أكثر عندما نعلم أنّ هذه العوارض قد تناثرت في طيات القرآن الكريم وتوزّعت في عدد غير قليل من سُوره وآياته المباركة، ممّا يخاف على القارئ المبتدئ لخلوّ ذهنه أنّ يقع في متاهات لا يحمد عقباها عند قرائته القرآن الكريم ومشاهدته ما يخالف القواعدَ العربية المألوفة. لهذا ونظراً لأهمية التنزيل المبارك وجليل شأنه عند المسلمين حاولنا في هذا البحث أن نسلّط الأضواءَ على معنى العوارض وأن نُميط اللثام عن مفهومها والسبب الذي يقف وراءها، ليس من الجانب البلاغي فحسب، بل من حيث ارتباطها بمبحث الدراسات اللسانية الوظيفية.

أسئلة البحث: ١. ما هو الدور الوظيفي الذي يؤدّيه عارضُ التقديم والتأخير وعارضُ الحذف في عملية التواصل اللغوي؟ ٢. ما هو تأثير المستوى البلاغي في العملية التواصلية وتبيين الدلالة أثناء الحدث الكلامي؟ ٣. هل هناك وجوه مشتركة تربط بين علم المعاني ونظرية التواصل لرومان جاكبسون؟

فرضيات البحث: ١. هناك ارتباط وثيق بين علم المعاني ونظرية التواصل لرومان جاكبسون لأنّ علم المعاني علم مطابقة الكلام مع أحوال المخاطب، والمخاطب (المرسَل إليه) هو محور هامّ في عملية التواصل عند جاكبسون. ٢. بما أنّ المتكلم والمخاطب يشكلان محورين رئيسيين من ضمن المحاور الستّ في نظرية التواصل، فالجانب النفسي له دور هامّ ويتجلّى هذا الأمر في الوظيفة الندائية (التنبيهية) وخاصةً في الوظيفة التعبيرية؛ إذ الحالة النفسية لكلّ من المخاطِب والمخاطَب تؤثر تأثيراً مباشراً على شكل الرسالة وفحواها. ٣. يكثر حضور عارض التقديم والتأخير وعارض الحذف في الوظيفتين التعبيرية (الانفعالية) والندائية (التنبيهية).

خلفية البحث:

هذا بحثٌ نتناول فيه عارضَي التقديم والتأخير والحذف في الجملة العربية القرآنية من خلال نظرية التواصل لرومان جاكبسون. وعوارض التركيب هو موضوع غير مطروق لم تلكه ألسنُ الأدباء ولم تُسهب فيه أقلام العلماء قديماً فقد خلت منه أبحاثهم وكتبهم ومؤلفاتهم ولم يخصصوا له باباً إلّا بعض الإشارات التي جاءت متناثرة ترمز إلى ما يتناسب ومفهوم العوارض إلّا أنّه أصبح في الآونة الأخيرة مَثار إهتمام لعدد من الباحثين المتأخرين فكتبوا عنه رغم قلة عددهم بعضَ رسائلهم وألّفوا حوله كتباً ومقالاتٍ ورسائلَ علمية.ولكنهم لم يتطرقوا إليه بشكل منفرد ضمن كتابٍ مستقل بل كل ما فعله بعضهم أنهم خصصوا له باباً ضمن دراساتهم للجملة العربية ولهذا فإن البحوث التي تناولت في الآونة الأخيرة موضوعَ عوارض التركيب بشكل مباشر ومستقل لا تعدو بعض الرسائل العلمية الجامعية وبعض المقالات هي كما يلي: ١. عوارض التركيب في بناء الجملة العربية (دراسة نحوية في ضوء سورة البقرة) إعداد الدكتور رفاعي طه أحمد. ٢. عوارض التركيب في سورة البقرة (دراسة نحوية وصفية)؛ وهي رسالة ماجستير للطالبة سامية مونس خليل أبو سعيفان، الجامعة الإسلامية غزة. ٣. عوارض التركيب في شعر عبدالله بن قيس الرقيات، أمل منسي الخديدي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة. ٤. عوارض التركيب في شعر عبدالله فيصل، رسالة ماجستير للطالبة: تهاني محمد ولى إبراهيم خان، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة. إن هذه البحوث انقسمت في تناولها لعوارض التركيب قسمين؛ فمنها ما عُنيَ الباحث فيها برصد عوارض التركيب في شعر الشعراء والأدباء، ومنها ما عمد الباحث فيها إلى القرآن الكريم مكتفياً برصد عوارض التركيب في سورة واحدة ولكن هذا البحث الذي بين يدي القارئ يمتاز بكونه بحثاً ذا طابعٍ قرآني حاولنا أن ننحي في رصد عوارض التركيب وتتبُّع شواهدها وأمثلتها منحى أكثر غوراً وأشدّ عمقاً من خلال نظرية التواصل لرومان جاكبسون وهي من المدارس اللسانية الوظيفية.

نظرية التواصل لرومان جاكبسون

من أهمّ المدارس اللسانية التي ظهرت في هذا المجال هي المدرسة الوظيفية. من بين العلماء اللسانيين الوظيفيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بعملية التواصل اللغوي "رومان جاكبسون" أحد أقطاب المدرسة الوظيفية، إذ كان من أهم وظائف اللغة التي نادى بها هي

«وظيفة التواصل التي تتيح للإنسان الاتصال بغيره من بني جنسه، إلا أن لهذه الوظيفة طابعا ثنائيا أيضا يكمن في وجود شكلين من التواصل: التواصل بالكلام[1]، والتواصل بالكتابة[2]. فالتواصل بالكلام أو التواصل اللفظي، بمعناه الأكثر شيوعا، هو التواصل بالوسائل اللفظية بين فردين، وهو من هذا المنطلق يشمل عمليتي بث واستقبال مرسلة لها مدلولات معينة تحدد بالتواضع والاصطلاح المسبق بين المرسل والمرسل إليه وتتم عملية التواصل هذه تبعا للدوافع النفسية الفيزيولوجية للمتكلم كما تحقق عبر القناة السمعية» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٤٩).

فينبغي التعرف على العنصر اللغوي الذي أشار إليه جاكبسون؛ حيث يرى أن أي حدث لغوي يتضمن رسالة، وأربعة عناصر تتعلق بها هي: الباث، والمتلقي، ومضمون الرسالة والشفرة المستعملة فيها. والعلاقة بين هذه العناصر متغيرة ومتنوعة، فأحيانا تعمل فعمل الوظائف المختلفة لها بشكل منعزل، لكن المعروف لدينا هو تنظيم هذه الوظائف في مراتب بطريقة متماسكة مترابطة، مما يجدر بنا أن نتعرف على الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية. (فضل، ١٩٨٠: ٣٨٣)

قد لقيت نظرية "دي سوسير" قيمة عملية جديدة وتنظيما جديدا بفضل جاكبسون حيث استفاد من هذه النظرية وأعمال المهندسين. وتقنينهم فاستعمل في نظريته الخاصة بالتواصل مفاهيم (المرسل) و(المرسَل إليه) و(المرسَلة) و(الرمز) بشكل مستمر في دراساته، فتمكن بذلك وضع هذه المفاهيم في رسم بياني مشهور. (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٤ و١٠٤)

سياق

مرسل.. .. .. مرسلة.. .. .. مرسَل إليه.

اتصال

نظام رموز

وقد أوضح ذلك بمخطط انتهجه مغايرا لنهج "سوسير" في كتابه "أصول اللسانيات العامة" وهو كالآتي:

1. Communication oral
2. Communication ecrite

سياق التخاطب:

فمن هذا المخطط يتضح لنا التمييز بين "الرسالة" موضوع القول وبين "الشفرة" التي تضم رموزاً مشتركة، فقد أورد في تحليله بعض الظواهر التي أغفل عنها "سوسير" وهي مرتبطة بعمليات التخاطب ولا سيما القناة أي القاعدة الفيزيائية التي تساعد على التعبير ونقل إشاراته، والسياق (المقام) أو الظروف المحيطة بالإبلاغ (ايلوار، ١٩٨٠: ٤٩-٥٠). وقد قابلها بوظائف لغوية بحيث كل عامل من هذه العوامل الستة المتصلة بكيفية التواصل اللغوي يوجد وظيفة لغوية مختلفة، فمن هذا أن المرسل تقابله الوظيفة الانفعالية، والمحتوى تقابله الوظيفة المرجعية، وهكذا، وفقاً للمخطط التالي:

مرجعية

انفعالية .. .. شعرية .. .. ندائية

إقامة اتصال

ما فوق اللغة métalinguistique. (مرتاض، ٢٠٠٠: ٣٩-٤٠)

وجدير بنا أن نعرض هذه الوظائف التي تؤديها المرسلة اللغوية كما تناولها جاكبسون بعدما تناول العوامل الستة المشتركة المذكورة، وذكر بأن الوظيفة تكون إشارية لما يكون العامل المهيمن، الذي تتجه نحوه الرسالة وهو السياق، وتكون الوظيفة انفعالية عندما يتوجه الانتباه نحو الباث، وتكون طلبية لما تكون الهيمنة للسامع، الذي يطلب الانتباه من أجله... (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٢)

١. الوظيفة الانفعالية: تُسمّى أو "انفعالية" أو"تعبيرية" ترتكز على المرسِل، و«تهدف إلى تعبير مباشر عن موقف الشخص تجاه ما يتكلم عنه، وهي تميل إلى إعطاء الشعور ببعض الانفعال، حقيقيا كان هذا الانفعال أم مصطنعا، من أجل ذلك، فإن تسمية هذه الوظيفة

بالانفعالية، التي اقترحها "مارتي[1]" تبدو أفضل من تسميتها بالوظيفة "المثيرة للانفعال"، وتظهر الطبقة الانفعالية الخالصة في اللغة في حروف التعجب، وهذه الأخيرة تبتعد عن أساليب اللغة المرجعية بتصويرها الصوتي نجد فيها تشابها صوتيا خاصا أو حتى أصواتا غير معهودة في أي سياق آخر» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٢). وهنا لابد للمتكلم أن يقدم انفعاله المرسوم في شعوره وإحساسه الذي يبوح به بالأسلوب والطريقة التي يراها أنها تحافظ على المعنى المرسل إلى المتلقي لأن هذا الأخير مستقبل المرسلة الكلامية وما تحمله من مثيرات في سياقات معينة حتى يتسنّى له إدراك المعنى وتحديده ضمن الشفرات الحاملة للرسالة. وأحيانا هذا الانفعال «يجعلنا ننسى الشرط الأساسي للتواصل من خلال اللغة وهو الإفهام، وكل إفهام لابد أن يعتمد على إجراءات تحليلية أي أنه كلما كان التعبير عاطفياً كلما نزع إلى الشكل الإجمالي المركز، والصيغ المتناثرة المفككة» (فضل، ١٩٨٠: ٢٨-٣٠)، وهذا حال مَن أمعن النظر في تشكيلة النص من فن الأساليب وحسن صيغ العبارات والألفاظ دون الاهتمام بمضمون هذا النص وهو المقصود. وبإمكان محتوى الرسالة أن يتّخذ عدّة صيغ، فما يشغل بال الباث فقد يعبَّر عنه بأحاسيس متعدّدة كالفرح والغضب والاستياء والتوسّل والاستعطاف... وقد تأتي الرسالة على شكل آهات أو تعجبات وقد تُعبّر عن سخط أو غضب وصمود أو استغراب وحيرة أو استخفاف واستهزاء موظّفة التعابير والأساليب التي تعجّ بها اللغات الطبيعية.

٢. الوظيفة الشعرية: تتجلى هذه الوظيفة في المرسلات الكلامية التي تنقل شعور المتكلم إلى المتلقي في «أحسن تصوير للجانب الجمالي الموجود في اللغة والمتجسد في المظهر الفني البلاغي الذي يستغله الشعراء أيما استغلال، والاهتمام هنا منصب على الخطاب نفسه» (طالب الإبراهيمي، ٢٠٠٦: ٣١)، وبالأحرى على الرسالة؛ لأنها تعد وجها من أوجه الخطاب، إذ هي غاية في ذاتها أي لها تعبير داخلي عن نفسها ؛ لأنها العنصر الأساسي المعني بالاهتمام. ولكن الشيء الذي ينبغي معرفته عند جاكبسون وهو: كيف نصل إلى الشعرية؟ وهنا يجب أن نركز على محورين هامين: الاختيار والتأليف، فمثلا إذا كان مخاطباً يملك رسالة مضمونها كلمة "طفل" فهو يقوم بعملية انتخاب واختيار من بين مجموعة واسعة من الأسماء المترادفة لكلمة "طفل" ك: "صغير، رضيع، وليد، غلام. .." وتعتبر هذه سلسلة اسمية. فيختار لها من السلسلة الفعلية مثل: "نام، رقد، غفا،. .." وتنتظم الكلمتان المختارتان في سياق كلامي. وهنا

1. Marty

فعملية الاختيار تقوم على التعادل، والتماثل، والتنافر والترادف والتضاد. بينما تقوم عملية التأليف على المجاورة ولهذا فالوظيفة الشعرية تسقط مبدأ التعادل المحوري للاختبار على مبدأ محور التأليف (بوحوش، لا تا: ١٧٣-١٧٤). ونلمح تعريف الشعرية عند جاكبسون عند جعلها علماً قائماً بذاته ضمن فروع اللسانيات وحددها بوصفها الدراسات اللسانية الوظيفية الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عامةً وفي الشعر خاصةً (جاكبسون، ١٩٩٨: ٣١).

٣. الوظيفة الندائية (التنبيهية): وتخص هذه الوظيفة المتلقي أو السامع لنص الرسالة؛ حيث «نراها تتحقق عندما يوجه الخطاب نحو المخاطب (المتلقي = المرسل إليه) لتثير وجدانه وردود أفعال معينة حركية أو ذهنية أو لغوية مثلما هو الحال في مقام المهرجانات السياسية ومقام للوعظ والإرشاد في المساجد». وقد يستخدم من يَقوم بهذه المرسلات ما يثير الانتباه والطلب، ومن ثمّ تدخل الجمل الأمرية والندائية. ويمكن أن يتوجه هذا النداء أو الأمر إما إلى ذكاء أو عاطفة المستقبِل «بحيث يتضح التمييز ـ على هذا المستوى ـ بين الموضوعي والذاتي، والمعرفي والعاطفي، علاقة تبرر التعارض القائم بين الوظيفة المرجعية ـ التي سنتحدث عنها فيما بعد ـ والوظيفة العاطفية [وتُسمّى أيضاً الانفعالية أو التعبيرية] وتندرج ضمن الوظيفة المرجعية كل أنظمة الرموز التأشيرية والبرامج العملاتية (عمل، تكتيك عسكري...) التي تهدف إلى تحريك مشاركة المستقبل، وهذه الوظيفة اتخذت لها أهمية كبرى مع الإعلام (أو الإخبار) الذي انعدم فيه محتوى الرسالة المرجعي إزاء الإشارات الهادفة إلى إثارة المستقبل، سواء أكانت تلك الإثارة تتم عبر محاولة تشريطه، متوسله التكرار أم كانت في توجيه تفاعلات عاطفية لا واعيةً» (طالب الإبراهيمي، ٢٠٠٦: ٣١). وهكذا تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي تتوجه إلى المستقبل لإثارة انتباهه أو لنطلب منه القيام بعمل معين وتدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة الندائية. فالوظيفة الندائية لها خاصيتها في تعبيرها النحوي الخالص أسلوبي: النداء والأمر، إذ هذان الأسلوبان يحيدان عن الفئات الاسمية والفعلية من حيث السياق والصرف وغالبا الصوتيات؛ لأن جمل الأمر لا يمكن إخضاعها لاختبار الحقيقة، عكس الجمل الخبرية التي تخضع لذلك (الطبال بركة، ١٩٩٣: ١٨٤). بين بعضُ الدارسين أنّ التنبيه لا يقتصر على الإشارات، أو بعض الحروف، وإنما للتنبيه في العربية أساليب كثيرة لعلّ أبرزها النداء، والدّعاء، والتوكيد، والإشارة، والإستفهام، وأمور أخرى كثيرة يمكن لنا أن ندرجها ضمن الأساليب الآنفة، على سبيل المثال أسلوب التوكيد في اللغة العربية الذي يأتي بصور وأنماط كثيرة ومن ضمنها تقديم ما حقّه التأخير لتوكيده أو لحصر الحكم فيه أو لغرض بلاغي أو نفسي آخر في ذهن المتكلم.

٤. الوظيفة المرجعية: تتعلق هذه الوظيفة «بالمرسلات ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداث معينة، تشكل التبرير الأساسي لعملية التواصل ذلك أننا بهدف الإشارة إلى أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله» (زكريا، ١٩٨٦: ٥٣-٥٤) وتتحدد هذه الوظيفة بمعطيات الظروف والملابسات التي تحيط بالرسالة سواء كانت هذه الظروف تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية. تعدّ هذه الوظيفة أساس كل تواصل لأنها تحدد العلاقات بين المرسلة والشيء كما أنها أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل ذاتها. وأحيانا تسمى "تعيينية" أو "تعريفية" حيث تعتبر العمل الرئيسي في العديد من المرسلات، في المقابل أن الوظائف الأخرى تكون ثانوية في مرسلات كهذه. (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٧) وهي قاعدة كل تواصل ؛ لأنها « تحدد العلاقات القائمة بين الرسالة و الموضوع الذي ترجع إليه، لأن المسألة الأساسية تكمن في صياغة معلومة صحيحة عن المرجع، وتكون موضوعية ويمكن ملاحظتها والتأكد من صحتها. ذلك هو هدف المنطق وسائر العلوم التي هي بمثابة أنظمة إشارات تبقى مهمتها الأساسية تجنب أي التباس ممكن بين العلامة والشيء ذاته، بين الرسالة والحقيقة المرمزة» (رايص، ٢٠٠٧: ١٠٤).

٥. وظيفة إقامة الاتصال: تتعلق هذه الوظيفة بالقناة التي توصل الرسالة. فهي تراعي إقامة التواصل وتأمين استمراره، بحيث تحافظ على معنى الرسالة وتعمل على عدم تسرب التشويش إلى المرسلات الكلامية، وذلك لمّا «يقيم المرسِل اتصالا مع المرسل إليه ويحاول الإبقاء على هذا الاتصال. وهنا تظهر ألفاظ مثل "ألو"، "هاه" وغيرها من الألفاظ التي لا تملك أي معنى أو هدف سوء إبقاء الاتصال ومصطلح إقامة التواصل هذا أوجده "مالينوفسكي" للدلالة على أهمية اللسان الذي يقوي ويشدّ وشائج الصلة بين الناس عبر تبادل الكلمات البسيطة دون أن تكون النية منه تبادل الأفكار» (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٦). فمثل هذه الكلمات تعين على استمرار الفهم للسامع وعدم الخروج من دائرة السياق الذي يحكم هذه المرسلة اللغوية.

وهذه الوظيفة قد أخذها "رومان جاكبسون" عن "مالينوفسكي"، وهي التي تتيح للمرسل إقامة التواصل أو قطعه، ومن ثم فإنها تؤدي دورا هاما في كل أشكال التواصل كالطقوس والاحتفالات والأعياد والخُطب والأحاديث بمختلف أنواعها. وقد أكد "جاكبسون" أن المرجع في رسالة إقامة الاتصال هو الاتصال ذاته، حيث إن أي رسالة تستخدم بصورة أساسية لإقامة التواصل أو إطالته أو قطعه، وللتحقق من عمل المدار الكلامي وللفت انتباه التلقي وغيرها من الأمور التي تحافظ على استمرارية التواصل كل هذا هو التأكيد على الاتصال (رايص، ٢٠٠٧: ١٠٦-١٠٧).

٦. وظيفة ما وراء اللغة: تخص هذه الوظيفة ما يتعلق باللغة نفسها وما يشمل رموزها حيث تظهر في المرسلات التي تتمحور على اللغة ذاتها وتختص بالوصف لها وتشمل عناصر البنية اللغوية وتعريف المفردات (زكريا، ١٩٨٦: ٥٤)، وقد ميّز المنطق الحديث بين مستويين من اللغة: اللغة المادية وهي المتمثلة في حديثنا عن الأشياء المحسوسة، وهناك اللغة الماورائية أو تعدّي اللغة وهي التي تخص اللغة نفسها أي دراسة عناصرها بالوصف والتعريف (الطبال بركة، ١٩٩٣: ٦٧). وترتبط مكوّنات أية مرسلة ارتباطاً ضرورياً بالسنن أو الشفرة عن طريق علاقة داخلية، وبالمرسَلة عن طريق علاقة خارجية، وتهتم اللغة في مظاهرها المتنوعة بكلا نمطي هذه العلاقة سواء تمّ تبادل الرسائل أو استمر الاتصال باتجاه واحد من المرسِل إلى المتلقّي؛ إذ لابدّ من وجود نوع من المجاورة بين المشتركين في أي حدث كلامي لضمان نقل المرسَلة. اما الفاصل في الزمان وفي المكان ففي الغالب بين الأفراد، هو المرسل والمتلقّي ويتمّ ردمه عن طريق علاقة داخلية (ماوراء اللغة)؛ إذ لابدّ من وجود تسامٍ معين بين الرموز التي يستعملها المرسل والرموز المؤولة لدى المتلقّي، وهي منتقاة من مستودع جميع الأجزاء المكونة (الشفرة)، ومن دون هذا التساوي تكون المرسلة مقطوعة خاية من الدلالة، لا تؤثر في التلقّي حتى إن وصلت إليه (جاكبسون ومورس هالة، ٢٠٠٨: ١١٥-١١٦).

وخلاصة القول إن اللغة وجدت لتبادل أفكار الناس بينهم ووجودها يكون بهؤلاء الناس أو الجماعة التي تحكمها خبرة مجتمعهم. وقد تعددت وظائفها في هذا التبادل للأفكار أو نقلها لخدمتها للإنسان وتحديد المبتغى المنشود.

عوارض التركيب في القرآن الكريم وما تؤديه من وظائف تواصلية:

عارض التقديم والتأخير

تقديم الخبر:

قوله تعالى: ﴿**ومن النَّاسِ مَن يقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبِاليومِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤمِنينَ**﴾، «وقوله (ومن الناس من يقول...) خبر مقدّم لا محالة. ..و قد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأنّ في تقديمه تنبيهاً للسامع على عجيب ما سيذكر، وتشويقاً لمعرفة ما يتمّ به الإخبار ولو أخّر لكان موقعه زائداً لحصول العلم بأنّ ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من انسان» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ج١/٢٥٩-٢٦٠). يلاحظ أنّ تقديم الخبر في هذه الآية يخدم غرضاً بلاغياً تواصلياً ويهدف إلى تنبيه المتلقّي حتّى تتمّ عملية التواصل على أحسن وجه، ولو أخر الخبر لزالت هذه الفائدة.لأنّ

هذا النوع من تقديم الحكم يعمل على شحذ ذهن المخاطب وتشويقه واغرائه فيبدأ يتطلّع ويتساءل؛ إلى من صيغ هذا الحكمُ؟ ومن هم الذين صُنّفوا في عداد الناس؟ وهكذا نلاحظ أنّ تحريك هذا الجزء من الكلام يؤثر تأثيراً بالغاً في عملية ايصال الرسالة إلى المخاطب. كما نلاحظ أنّ المرسِل جعل المخاطب جزءاً من عملية التواصل فجاءت الرسالة موجّهةً للمخاطب ومطابقة لمقتضى حاله. فالوظيفة ههنا لا تكون إلا ندائية (تنبيهية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	كافّة الناس	تقديم الخبر على المبتدأ	ندائية (تنبيهية)	إثارة انتباه المخاطب لمعرفة ما يتمّ به الإخبار

قوله تعالى: ﴿**تلك أمّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كسَبَت ولَكم مَا كسَبتُم ولَا تُسئَلُونَ عَمَّا كانُوا يعمَلُونَ**﴾ (البقرة/١٣٤)، قُدّم في هذه الآية المسندين على المسند اليهما في قوله: ﴿**لَهَا مَا كسَبَت ولَكم مَا كسَبتُم**﴾ لقصر المسند اليه على المسند؛ أي ما كسبت الأمَّةُ لا يتجاوزها إلى غيرها، وما كسبتم لا يتجاوزكم. وهو قصر اضافي لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أنّ ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصي أو يحمله عنهم أسلافُهم. فهناك تناسق وتلاؤم رائع في تركيب هذه العبارة القرآنية لعبت الكلمات فيه دوراً مؤثراً في ايصال ما يراد ايصاله من معنى الى المتلقّي حسب مقتضيات حال المخاطب. وقلبُ اعتقاد المخاطبين هو الوظيفة الأساسية لهذه الآية حققته هذه البنية بالذات والتي جاءت على صورة القصر الإضافي الذي حصل عن طريق ازاحة بعض الكلمات عن مواقعها والخروج عن النسق المألوف لها، ولهذا فإنّ الوظيفة التي تؤديها الرسالة تعتبر ندائية (تنبيهية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	المسلمون	تقديم المسند على المسند إليه	ندائية (تنبيهية)	تنبيه المخاطبين على خطأ معتقدهم

قوله تعالى: ﴿**لِلَّذين يؤلُونَ مِن نِسائِهِم تَرَبُّصُ أربَعَةِ أشهُرٍ**﴾ (البقرة/٢٢٦)، «تقديم (للذين يؤلون) على المبتدأ (تربّص) للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع اللّهُ على الأزواج، وتشويق لذكر المسند اليه» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ج٢/٣٨٥). حكم التربّص هذا ـ الانتظار الذي لا يترتب عليه إثم حتى إنهاء مدة أربعة أشهر ـ قد يكون فرجاً طالما انتظره هؤلاء خاصة منهم الذين

يسعون إلى رضا الله والتوبة من الذنب، فبمجرد ذكر اسمهم مسبوقاً بلام الملكية تشرئبُّ أعناقهم سماعاً لما سيصدر من المولَى عزّ وجلّ في حقّهم، فرتبةُ الخبر المتقدّم على المبتدأ هي التي أحالتنا على هذا الفهم، حيث وظّف المرسِلُ (الله جلّ وعلا) الرسالةَ (الآية الكريمة) من أجل تنبيه المرسَل إليه (المؤمنون) على الامتثال للحكم الذي تضمنته الآية الكريمة وذلك من خلال أسلوب التقديم الذي جاء في سياق الطلب الانشائي. فالوظيفة المتوخّاة هي ندائية (تنبيهية) لكون المرسَل إليه في هذه الآية في هذه الرسالة (الآية الكريمة) يقع في دائرة الاهتمام.

المرسِل	المرسِل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	المؤمنون	تقديم الخبر على المبتدأ الذي جاء في سياق الطلب الإنشائي	ندائية (تنبيهية)	لفت انتباه المخاطب وتشويقه على ما يأتي في الجملة لاحقاً

تقديم المفعول على الفعل والفاعل:

قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا عَلَيك تَوَكلنَا وإلَيك أنَبنَا وإلَيك المَصِيرُ**﴾ (الممتحنة/٤)، يشير تقدّمُ شبه الجملة ثلاث مرّات على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ما في نفسه من التوجّه الصادق إلى الله، والإخلاص الكامل لوجهه الكريم، والتسليم المطلق لإرادته، حين أعلن هو والمسلمون براءتَه من المشركين ومعبوداتهم الزائفة. وتلك سمة إيمانية نفسية نحسّ بنبضاتها القوية المشرقة في قلوب أولياء الرحمان، حين يضيق أهلُ الباطل الخناقَ عليهم، وحين تتوهّم النفسُ أنّ الاتّكال على القوى الأرضية الخائرة تُجدي نفعاً في دفع الضرر. فجاء تقدّم معمول الفعل (عليك) على الفعل والفاعل (توكلنا) ليدلّ على بطلان ما تتوهمه النفس نستشفّ ذلك مما تبثّه نفس إبراهيم عليه السلام من عواطف جارفة تجاه الله تبارك وتعالى وشدة الثقة به مما يجعل النبي إبراهيم عليه السلام يموج في جوّ يفيض بالأمان ويزخر بالطمأنينة. وهكذا نرى بأنّ المرسِل (وهو نبي الله إبراهيم عليه السلام) عبّر في هذه الرسالة (وهي الآية الكريمة) عما يعتلج في نفسه من أحاسيس وعواطف صادقة، من خلال استخدام أداتين هما: النداء والتقديم التين لعبتا دوراً أساسياً في تأدية الجانب الانفعالي لهذه الرسالة. فالوظيفة ههنا انفعالية (تعبيرية) لأنّ المُرسِل أصبح مدار الاهتمام لكون الرسالة عبّرت عن عواطفه وشعوره وما ينتابه من أحاسيس.

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
إبراهيم عليه السلام	الله جلّ وعلا	نداء /تقديم المفعول على الفعل والفاعل	إنفعالية (تعبيرية)	تدفّق عواطف النبي إبراهيم الصادقة بما تبثّه نفسه من التوجّه لله والتسليم لإرادته

قوله تعالى: ﴿**أَغَيرَ اللهِ أبغِيكم رَبّاً وهُوَ فَضَّلَكم عَلَى العَالَمينَ**﴾ (المائدة/١٤٠)، تقدّم المفعول به مسبوقاً بأداة الاستفهام على الفعل والفاعل (أبغي) ليكون في بؤرة الاهتمام ومحلاً للتعجب ومركزاً للانكار البات من جانب الله جلّ وعلا. فهذا الطلب الذي طلبوه بأن يجعل الرسول لهم الهاً غير الله طلبٌ مدهش ومثير للاعجاب يبين مدى جهلهم لنعم الله ومدى سخامة عقولهم، فكيف يبغون الهاً غير الله الذي فضّلهم على العالمين وأسبغ عليهم النعم والبركات؟ هدف المرسِل (الرسول الأكرم) من هذه الرسالة المتمثلة في الآية الكريمة إلقاءُ اللائمة على المشركين وتوبيخهم وتفنيدهم، فاستخدم لهذا الغرض أداةَ الاستفهام الذي خرجت من أصلها لتعكس حالة الإعجاب والاستغراب التي انتابت المرسِل، واستخدم كذلك أسلوب التقديم ليكون المتقدّم مركزاً للتعبير عن هذا الاستغراب. إذن جاء التركيز في هذه الرسالة (الآية الكريمة) على المرسِل ولهذا كانت الوظيفة انفعالية (تعبيرية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الرسول الأكرم	المشركون	الاستفهام/ تقديم المفعول على الفعل والفاعل	انفعالية (تعبيرية)	حالة الإستنكار والتفنيد التي تثير الإعجاب بما طلبوه واستغرابه

قوله تعالى: ﴿**أفَكلما جاءَكم رسولٌ بما لا تهوَى أنفسُكم استكبرتم ففريقاً كذَّبتُم وفريقاً تقتلون**﴾ (البقرة/٨٧): القصد من هذا الخطاب التوجيهي هو التعجب من استكبار بني إسرائيل وقتلهم الأنبياء وانكارهم ذلك. «وتقديم المفعول (فريقاً) هنا، لما فيه من الدلالة على التفصيل، فناسب أن يقدَّم ليدلّ على ذلك» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ج١/٥٩٦). استخدم المرسِلُ من الأدواة والأساليب اللغوية ما يعين على ابراز حالة التفنيد ورسم جوّ مليء بالاستغراب ويسهم في تسليط مزيد من الأضواء عليها، فقد وظّف المرسِل (الله تبارك وتعالى) همزة الاستفهام سوطاً لاذعاً ينهال على بني اسرائيل تفنيداً لمعتقدهم وتقبيحاً لأفعالهم، وصبَّ جامَ غضبه عليهم بتقديم المفعول به (فريقاً) لتشنيع ما عملته أيديهم من جسيم الأضرار. ويبدو أنّ الرسالة اعتمدت على المرسِل ذلك أنّ حالة التفنيد والاستنكار والاستغراب التي عبّر عنها

المرسِل قد طغت بشكل واضح في هذه الرسالة، ولهذا نستطيع القول بأنّ الوظيفة التواصلية في هذه الراسلة هي تعبيرية (انفعالية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	بنو إسرائيل	استفهام/تقديم المفعول على الفعل والفاعل	تعبيرية (انفعالية)	إظهار ما في نفس المتكلم من استياء متمثل بأسلوب التعجب

تقديم المفعول على الفاعل:

قوله تعالى: ﴿**وإذَا حَضَرَ القِسمَةَ أولوا القُربَى واليتَامَى والمَسَاكينُ فَارزُقُوهُم مِنهُ وقُولُوا لَهُم قَولاً مَعرُوفاً**﴾ (النساء/٨): نجد في هذه الآية تقديم المفعول به (القسمة) على الفاعل (أولوا القربى) إذ أنّ مدار الحديث منصبّ على المفعول به (القسمة) وهو المبحوث عنه، فكان الأولى بهذا المفعول به أن يتقدّم على الفاعل لأنه الأهمّ في الذكر، ليكون أمام الحاضرين في اللفظ، كما هو في الواقع. وهناك جانبٌ آخر هو أنّ الفاعل متعدد ووقوع المفعول بعد هذه الكلمات المعطوفة أمرٌ غير مستحسَن إذ قد يفقده ذلك أهميتَه، فكان الأولَى ذكر المفعول به (القسمة) في بداية الحديث حتى يكون في بؤرة الاهتمام وتتمّ عملية لفت انتباه المخاطب الى هذا المقدَّم وتتمّ بعد ذلك إيصال المرسلة بالوجه الذي يريده المرسِل. وهكذا نلاحظ أنّ المرسِل قام بتحريك أجزاء الجملة وإعادة ترتيبها كأداة إلى جانب أسلوب الطلب لتأدية وظيفة تواصلية بلاغية هامّة.صوّبت هذه الرسالة اهتمامها نحو المرسَل إليه بواسطة أسلوب الطلب ولهذا فإنّ الوظيفة التواصلية ههنا هي ندائية (تنبيهية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	المؤمنون	تقديم المفعول على الفاعل/ طلب (أمر)	الندائية (تنبيهية)	ينبّه اللهُ تعالى المخاطبين على الاحسان إلى الأقرباء واليتامى وأن يقولوا قولاً حسناً

عارض الحذف

حذف الفعل:

قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَألتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأنّى يؤفَكونَ**﴾ (العنكبوت/٦١)، فقد حذف الفعل ومفعوله والتقدير (خلقهن اللهُ) وهذا الحذف يعكس

الإقرار النفسي والتسليم الداخلي لهؤلاء بهده الحقيقة، ويقدّم صورة بإقناعهم الكبير بها، فكانت اجابتهم بهذه السرعة فتخففوا من ذكر ما هومعلوم لقوّة الدلالة عليه. فعبارة (ليقولنّ الله) وإن كانت تفقد عنصراً أساسياً وهو فعل (خلقهنّ) إلّا أنّ إسقاط هذا العنصر يطلع المخاطَب (المرسَل إليه) على حال الكافرين وما هم عليه من تسليم داخلي واقرار نفسي تجاه خالقية الله تعالى. وتضمنت هذه المرسَلة أداتَي اللام الموطّئة للقسم في الشقّ الأول (الجملة الشرطية) ولام التوكيد في شقها الثاني (جواب الشرط) من أجل تقوية ما يدلّ عليه حذفُ الفعل (خلقهنّ) من اقرار نفسي. ففي هذه الآية أداتان هما: أسلوب التوكيد وحذف الفعل التان وُظّفتا لتنبيه المخاطب (النبي الأكرم) على أنّ الكافرين والمشركين يعلمون هذه الحقيقة.

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	النبي الأكرم	أسلوب التأكيد/ الحذف	ندائية (تنبيهية)	تنبيه النبي الأكرم على أنّ الكافرين والمشركين يعلمون الحقيقة ومقتنعين بأنّ الله جلّ وعلا خالق السموات والأرض

حذف فعل القول:

قوله تعالى: ﴿**وإذ أخَذنَا مِيثَاقَكم ورَفَعنَا فَوقَكمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَينَاكم بِقُوَّةٍ وَاذكرُوا مَافِيهِ لَعَلَّكم تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة/٦٣): قال الزمخشري في الكشاف: (خذوا ما آتيناكم) على إرادة القول أي: وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين: خذوا ما آتيناكم (الزمخشري، ١٩٩٨: ج٢/١٧٥). ونحن نرى أنّ المقام الذي تحكي عنه الآية الكريمة لا يحتمل ظهور فعل القول، فالطور مرفوع فوق بني إسرائيل كأنه ظُلّة بياناً لقدرة الله عليه، وترهيباً لهم من متابعة بغيهم وانحرافهم عن سبيل التوراة، فكان الأمر بأخذ الكتاب بقوة مباشرٌ لفعل الرفع دون الربط بحرف نسق، ودون ذكر فعل القول لملائمة موقف التهديد والوعيد. وفي حذف فعل القول هنا استحضار لمشهد قلع الطور ورفعه أمام أعين اليهود ممن لم يدركوا تلك الواقعة العظيمة في أسلافهم، فخاطبهم خطاباً أمرياً باتّباع كتابه وانتهاج سبيله كي يبقى الأمر صالحاً للأسلاف الذين رأوا الطور يظلهم من فوقهم وكي يبقى الأمر باتباع كتاب الله ممتدّاً لمن عاصر القرآن أو سمعه من أحفادهم تذكيراً لهم باقتدار الله وسلطانه على أسلافهم. فالقرآن الكريم يستدعي لهم المشهد جلياً لأخذ العبرة والتزام تشريعات الله. إذن ينصبّ اهتمام الرسالة على المرسَل إليه وحينئذ تكون الوظيفة ندائية (تنبيهية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا	قوم بني إسرائيل	حذف فعل الأمر قبل (إذ) وحذف فعل القول	ندائية (تنبيهية)	محاولة التأثير في بني إسرائيل عن طريق تنبيههم لقدرة الله عند حدوث الواقعة العظيمة في أسلافهم ترهيباً لهم من متابعة بغيهم

حذف المضاف:

قوله تعالى: ﴿**وَاسأل القَريةَ الَّتي كنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتي أقبَلنَا فِيهَا وإنّا لَصادِقُونَ**﴾ (يوسف/٨٢)، حُذف المضافُ في موضعين من هذه الآية إذ الأصل: (اسأل أهل القرية وأصحاب العير) وهذا الكلام لا يستقيمُ معناهُ عقلاً إلّا بهذا التقدير لأنّ القرية لا يعقل إرادة توجيه السؤال إليها وإنّما يسألُ أهلُها (الكوّاز، ٢٠٠٦: ١٨). ويشعرنا هذا الحذف بشيوع الأمر وشهرته وكأنهم يريدون أنّ أمر السرقة قد ذاع بين الناس وعلَمَه الجميعُ وصار حديث الكلّ، وبلغ من الشهرة حدّاً لو أنّك سألت الجمادات لأجابت، ولو سألت الحيوانات التي لا تنطق لأخبرت (عبدالفتاح فيود، ٢٠١٠: ٩٨). نلاحظ محورين في هذه الرسالة هما: المرسل وهم إخوة يوسف الذين يحاولون اقناع أباهم، والمحور الثاني نبي الله يعقوب عليه السلام، والوظيفة ندائية (تنبيهية) أولاً لكون الرسالة موجّهة للمرسل إليه محاولةَ تصحيح فهمه، وثانياً لكون الأسلوب المتّخذ في هذه الرسالة هو أسلوب الطلب الحقيقي وليس الطلب الإنشائي.

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
إخوةُ يوسف	يعقوب عليه السلام	أمر/حذف المضاف	ندائية(تنبيهية)	محاولة تصحيح فهم المخاطب

قوله تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة/٨٥): الاستفهام انكاري توبيخي، أي كيف تعمدتم مخالفة التوراة في قتال اخوانكم وأتبعتموها في فداء أسراهم فوجّه لهم الخطاب ليكفوا عن ذلك. تنمّ هذه الرسالة بما فيها من حالات التعجب والاستنكار، عن الشعور الذاتي للمرسِل ومردوده العقلي والعاطفي تجاه المرسل إليه (اليهود). فقد ركزت هذه الرسالة على محور المرسِل ولهذا فالوظيفة التواصلية هي انفعالية (تعبيرية).

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله تبارك وتعالى	اليهود	استفهام/حذف المضاف إليه	تعبيرية	استخدم المرسِل أسلوب الاستفهام الإنكاري من أجل إظهار استيائه مما يقوم به المخاطب وتوبيخه

حذف جملة:

قوله تعالى: ﴿**وَإذ يرفَعُ إبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وإسمَاعيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إنَّك أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ (البقرة/١٢٧)، حذفت جملة (وهما يقولان) والتقدير: وهما يقولان ربنا تقبل منا. إنّ قيمة هذا الحذف تكمن في قدرته على استحضار مشهد الدعاء الذي يفيض بلحظات الصفاء، حيث يستهل الخطاب الخبرَ بضمير الغائب الدالّ على الطابع الحكائي الذي يضرب في أعماق التاريخ ويمتدّ آماداً وأجيالاً، ثمّ ينتقل فجأةً إلى الدّعاء على لسان إبراهيم وإسماعيل، وينتقل الخيال مع انتقال الصيغة إلى مواجهة النبيين والاستماع إلى أصواتهما الخاشعة عن قرب، فالحذف يزيد من التركيب على الدّعاء ويلفت الذهن إلى متابعته وكأنّه حاضر مشهود. إضافة إلى ذلك فإنّ «الحذف يضفي جمالية محبّبة من خلال تجانس عملية رفع القواعد ورفع الدعاء من الأعماق، فيما يكشف عن أنّ الأعماق في حال البناء غير المنفصلة عن التطلعات الخيرة، انّها وعملية البناء تنفجران في لحظة واحدة، لا يقوم بينهما فاصل، فإبراهيم يبني وقلبه يهتف في الآن ذاته بالخير» (البستاني، ١٩٨٤: ١١٠). فالتناسق بادٍ بين رفع البناء في جانبه المادّي ورفع الإشعاعات الوجدانية الموجّهة إلى الله، ولا شك أنّ دعوة إبراهيم وتطلّعه إلى رؤية الخير في نفوسهم اشارة واضحة إلى نفسية إبراهيم وخلوّها من الأنانية وانطوائها على التوازن الداخلي الذي يجب أن تتحلّى به الشخصية السوية في محيطها الاجتماعي. كما أنّ هذا الحذف يجلب المتلقّي ويحيله مباشرة ليشارك بوجدانه إبراهيم وابنه تلك اللحظات المؤثرة. فنحن في هذه الآية أمام رسالتين: ١. رسالة موجهة من الله عزّو جل إلى النبي الأكرم ﷺ ويمكن توجيهها إلى المؤمنين، والوظيفة ندائية (تنبيهية) إذ القصد منها لفت الأذهان إلى متابعة الكلام والتمهيد لاستحضار مشهد الدعاء عن طريق حذف فعل القول. ٢. رسالة موجهة من النبي إبراهيم عليه السلام إلى الله عزّ وجل والوظيفة تعبيرية (انفعالية)، إذ القصد منها إظهار ما في نفس إبراهيم من خشوع وخنوع ورهبة.

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله عزّ وجل	المؤمنون	حذف فعل القول	ندائية (تنبيهية)	لفت الأذهان إلى متابعة الكلام والتمهيد لاستحضار مشهد الدعاء

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
إبراهيم عليه السلام	الله جلّ وعلا	النداء	تعبيرية (إنفعالية)	إظهار ما في نفس إبراهيم من خشوع وخنوع ورهبة

حذف جواب الشرط:

قوله تعالى: ﴿**وَلَو يرَى الذينَ ظَلَمُوا إذ يرَونَ العَذَابَ أنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعَاً وأنَّ اللهَ شَديدُ العَذَابِ**﴾ (البقرة/١٦٥)، ينقل النصُّ المبارك لنا ما يشعر به متّخذوا الأنداد من الحزن والندم حين يرون العذاب وتتقطّع بهم الأسباب، فحذف جواب الشرط (لو) لأنّ في ذكره تضييقاً لبيان التأثّر النفسي للذين ظلموا، وتقييداً لبيان ما هم فيه من التمزّق والألم على اتّخاذ بعضهم بعضاً أنداداً من دون الله، على خلاف الحذف الذي يوسع دائرة الوصف الإنساني لهؤلاء عند المتلقّي، وإلى هذه النفسية الواقفة وراء هذا الحذف التفتَ الزمخشري عندما قال: «ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أنّ القدرة كلّها لله على كلّ شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدّة عقابه للظالمين إذ عاينووا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة» (الزمخشري، ١٩٩٨: ج١/١٠٦). وهكذا يبدو أنّ إبهام جواب الشرط بحذفه كان أدلّ على ما يحدث لهم من القلق والافعال، إذ تذهب نفس المتلقّي كلّ مذهب في تقدير وصف حال الظالمين، فيكون هذا أدعى لعذاب نفسيّ آخر على النفس من توطينها على ضرب واحد منه، وبذلك يؤدّي الحذفُ دورَه في تكثيف المعاني وتقليل الألفاظ، فضلاً عمّا يوحيه من دلالات نفسية مردُّها حيرة المتلقّي وقلقه في تقدير المحذوف ومعرفة كنهه. وبما أنّ الرسالة ركزت على محور المرسَل إليه فالوظيفة ههنا ندائية (تنبيهية) كما يتضح في الأسفل.

المرسِل	المرسَل إليه	الأداة	الوظيفة	مفهوم الوظيفة
الله جلّ وعلا		حذف جواب الشرط	ندائية (تنبيهية)	حاول مرسل الرسالة التأثير في المخاطب من خلال تصويره لهول يوم القيامة حيث ذكر الشق الأول من الشرط وترك الشق الثاني وهو جواب الشرط وكأنّ ذلك اليوم فيه من العذاب والعقاب ما لا تسع لوصفه اللغة

النتائج

- إنّ مخالفة القواعد المألوفة أو ما يطلَق عليه بعوارض تركيب الجملة العربية قد يكون شيئاً مستحسناً فيؤدّي غرضاً بلاغياً رائعاً يزيد الجملة بهاءً وروعةً ويسهم في عملية التواصل.

- يكاد عارضا الحذف والتقديم والتأخير ينحصران في الوظيفتين التعبيرية والندائية.

- نلاحظ من خلال هذا الآيات بروز الوظيفة التعبيرية متمثلة بأسلوب التقديم والتأخير الذي منح الكلام سمة تعبيرية وقدرات تأثيرية ممّا أدّى إلى إثارة انفعالات متميزة لدى المتلقّي.

- ساعد عارضُ التقديم والتأخير على ايصال موضوع الرسالة بطريقة أكثر هدوءاً وتأثيراً عن طريق بثها على المتلقّي على مراحل تتضمن وصولها إليه بوضوح وتركيز في جوٍّ تشعر السامع بالجمالية الصوتية التي تنظم الكلام وتجعله أكثر تشويقاً للعنصر المتأخر.

-عمل النص القرآني المعجز على لفت انتباه المتلقّي من خلال توظيف بعض الأساليب كالتقديم والتأخير والحذف والاستفهام والشرط و... بغية تحقق هدف المرسل من الخطاب وهو التأثير في المتلقّين.

- وظّف القرآن الجمالَ الفني أداةً مقصودةً للتأثير الوجداني فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية.

- إنّ التحولات التي تطرأ على بنية الجملة من حذف وتقديم وتأخير و... تنضوي تحت علم المعاني الذي هو أصول وقواعد يعرَف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، مما يثبت لنا أنّ علماء اللغة العربية قد انتبهوا منذ القدم لمسألة التواصل اللغوي وما يؤدّيه من دور هامّ في كافّة المجالات الأدبية والاجتماعية و...

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

٢. أنيس، إبراهيم (١٩٧٨م). *من أسرار اللغة*. ط ٦، القاهرة: مكتبة آنجلو.

٣. ايلوار، رونالد (١٩٨٠م). *مدخل إلى اللسانيات*. ترجمة: بدر الدين القاسم، دمشق: مطبعة جامعة دمشق.

٤. البستاني، محمود (١٩٨٤م). *دراسات فنية في التعبير القرآني*. ط ٢، بيروت: مؤسسة الوفاء.

٥. بوحوش، رابح (لا تا). «الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص». *مجلة اللغة والأدب*، بعنوان: ملتقى علم النص، صص١٧٣-١٧٤.

٦. بياجيه، جان (١٩٨٠م). *البنيوية*. ترجمة: عارف منيمة وبشير أوبرى، ط ٢، بيروت: منشورات عويدات.

٧. جاكبسون، رومان ومورس هالة (٢٠٠٨م). *أساسيات اللغة*. ترجمة: سعيد الغانمي. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٨. جاكبسون، رومان (١٩٩٨م). *قضايا الشعرية*. ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، الدار البيضاء: دار توبقال.

٩. حساني، أحمد (٢٠١٣م). *مباحث في اللسانيات*. ط ٢، دبي: منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

١٠. رايص، نور الدين (٢٠٠٧م). *نظرية التواصل واللسانيات الحديثة*. فاس: مطبعة سايس.

١١. الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو (١٩٩٨م). *الكشّاف*. تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، الرياض: مكتبة العبيكان.

١٢. زكريا، ميشال (١٩٨٦م). *الألسنية، علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام*. ط ٢، بيروت: مجد.

١٣. المسدي، عبدالسلام (١٩٩٥م). *قضية البنيوية: دراسة ونماذج*. تونس: دار الجنوب للنشر.

١٤. مؤمن، أحمد (٢٠٠٥م). *اللسانيات نشأة وتطور*. ط ٢، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

١٥. طالب الإبراهيمي، خولة (٢٠٠٦م). *مبادئ اللسانيات*. ط ٢، الجزائر: دار القصبة للنشر.

١٦. الطبال بركة، فاطمة (١٩٩٣م). *النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة وتصور*. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

١٧. عبدالفتاح فيود، بسيوني (٢٠١٠م). *من بلاغة النظم القرآني: دراسة بيانية بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم*. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

١٨. فضل، صلاح (١٩٨٠م). *نظرية البنائية في النقد الأدبي*. ط ٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

١٩. فضل، صلاح (١٩٩٨م). *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته*. القاهرة: دار الشروق.

٢٠. مرتاض، عبد الجليل (٢٠٠٠م). *اللغة والتواصل (اقتراحات لسانية للتواصليين: الشفهي والكتابي)*. الجزائر: دار هومة.